حياة العلامة البنوري وقصائده في اللغة العربية

الدكتور عبد المجيد البغدادي★

الدكتور غلام أحمد★★

Abstract:

"Language and literature play the basic role in the life of human generations providing the foundation towards their identity and culture. In this regard, the Arabic language bears most important status among the world languages. The scholarly people identified by Arabic are no doubt distinguished people who learn it and contribute by creating literaute both in prose and poetry. Allama Muhammad Yousuf Bannori is one of those honorable personalities whose Arabic poetry is a valuable addition in precious Arabic literature. The following article throws light on his life and poetic status."

اسمه ومولده

هو الشيخ محمد يوسف بن محمد زكريا بن مير مزمل شاه. ولد وقت الفجر يوم الخميس السادس من شهر ربيع الثاني عام ١٣٢٦هـ الموافق عام ١٩٠٨م بقرية مهابت خان الواقعة قرب محطة القطار بمنطقة رشكاي التابعة لمحافظة مردان بإقليم خيبر بختونخوا، باكستان. ونالت أسرته لقب البنوري من نسبتها إلى جده الأعلى السيد آدم البنوري الذي كان يسكن قرية بَنّور (بفتح الباء وتشديد النون مع ضمه) التابعة لإقطاعية بتيالة بمحافظة أنبالة في ولاية البنجاب الشرقية بالهند.(۱)

★ أستاذ مساعد، بقسم اللغة العربية، جامعة العلامة إقبال المفتوحة، إسلام آباد.

★★ المحاضر، بقسم اللغة العربية، جامعة الكلية الحكومية، فيصل آباد.

نسبه

هو الشيخ محمد يوسف بن محمد زكريا بن مير مزمل شاه بن مير موسى بن غلام حبيب بن رحمة الله شاه بن عبد الأحد بن محمد أولياء بن السيد آدم بن إسماعيل البنوري. وينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن طريق محمد بن باقر بن الإمام زين العابدين بن سيدنا الحسين رضي الله عنه. (۲)

من بنور إلى بيشاور

وكان جده الأعلى السيد آدم بن إسماعيل الحسيني الكاظمي البنوري أحد كبار المشايخ للسلسلة النقشبندية. ولد ونشأ بقرية بنور- من أعمال سرهند. وأخذ الطريقة عن الحاج خضر الروغاني أحد أصحاب الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي بمدينة ملتان.... وبالجملة فإنه بلغ رتبة لم يصل إليها كثير ممن عاصره من المشايخ وكانت طريقته اتباع الشريعة المحمدية واقتفاء آثار السنة السنية، لا ينحرف عنها قدر شعرة في الأقوال والأفعال... وللشيخ آدم رسائل في الحقائق والمعارف، منها خلاصة المعارف في مجلدين بالفارسية... مات بسبع بقين من شوال سنة ثلاث وخمسين وألف بالمدينة المنورة، فدفن ببقيع الغرقد عند قبة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه- (۳)

وانتقل بعض أفراد أسرته إلى منطقة القبائل في إقليم الحدود –إقليم خيبر بختونخوا حاليا- في عهد السيخ ونالوا حفاوة وتكريما من القبائل. ولعبوا دورا هاما في مكافحة البدعات والخرافات. وقد انضوى مؤسس (دولة دير)- وهي محافظة من باكستان الآن- إلياس أخوند أيضا إلى حلقة مريديه. وبعد ذلك انتقل بعض أفراد الأسرة إلى مدينة كوهات والبعض الآخر فضل البقاء في بيشاور.

وكان جد والده أمير أحمد شاه من الأولياء الصالحين. وأنشأ بمدينة بيشاور قرية باسم (كرهي مير أحمد شاه). ولا يأويها إلا من يواظب على الصلوات الخمس. (۴)

والده السيد زكريا

كان والده رحمه الله عالما فطنا عالما بالعلوم الظاهرية إضافة إلى تبحره في التصوف والتزكية. وله كتب ورسائل عديدة لطيفة في مختلف العلوم ولاسيما في مجال الروح والمعجزات. وكان له باع طويل في تعبير الرؤيا وعلم الطب (۵)؛ لكنه قضى حياته في

اضطراب ولم يسكن له بال. وكانت والدته من قبيلة محمد زاي الأسرة المالكة لكابول. وأهدى له (نواب تورو محبت خان) أرضا قرب قرية (رشكاي)؛ لكن السيد زكريا ردها عليه عندما وضع قدمه في ميدان التصوف ولم يبق له سوى منزله الذي كان يسكنه. وقد تجول في مناطق عديدة من الهند بحثا عن مرشد له. كما سافر إلى العراق ليتنسك في ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله. وبعد مدة طويلة عاد إلى بيشاور واختار له مهنة المقاولة فعمل لفترة في ولاية بهاولبور، ثم انتقل إلى كابول. وقد استفاد الكثير من خلق الله من طبه هناك. كما كانت له علاقات قوية مع أعيان كابول بناء على علمه وفضله.

وفي تلك الأيام كلفه الأمير أمان الله خان بشراء طائرتين لعلهما كانتا عند أمير في الهند. فقام بشرائهما بنفقته؛ لكنه عندما عاد إلى كابول حدث انقلاب على الأمير أمان الله فغادر إلى أوروبا. فعاد السيد زكريا أيضا إلى بيشاور بعد أن أضاع جميع ما كان لديه في شراء تينك الطائرتين. فبدأ عهد فقر ومسكنة في حياته.(٦)

طفولته

ولد العلامة البنوري رحمه الله في ٦ من شهر ربيع الثاني عام ١٣٣٦ هـ وانتقلت والدته إلى رحمة الله بعد فترة قصيرة. فاحتضنته عمتها السيدة مريم. وكانت أيضا صاحبة فضل وصلاح. وكانت أعدت قماشا من قطن غزلته وهي تتلو سورة ياسين، لتدفن فيه؛ إلا أنها خاطت منه بذلة للعلامة البنوري بمناسبة العيد عندما كان والده في موقع مجهول بحثا عن مرشد له ولم يكن في البيت شيء تشتري به له ملبسا.(٧)

أخذه العلم

كان بيت العلامة البنوري بيت علم وفضل منذ القدم. فكان منزله أول مدرسة له، حيث درس القرآن الكريم من والده الشيخ محمد زكريا وخاله الشيخ فضل صمداني البنوري في منزله بقرية (كرهي مير أحمد شاه) بمدينة بيشاور. كما درس الكتب الابتدائية في علوم الصرف والنحو أيضا. وكان الشيخ الحافظ عبد الله بن خير الله البيشاوري (المتوفى عام ١٣٤٠ هـ) من أشهر أساتذته في تلك الفترة.(٨) وأشار الشيخ محمد أيوب جان أن العلامة البنوري تتلمذ على الشيخ عبد الله في قرية (أرباب لندي) التابعة لمدينة بيشاور.(٩)

في كابول

وانتقل بعد ذلك إلى مدينة كابول عاصمة أفغانستان في عصر الأمير حبيب الله خان(۱۸۷۲ـ۱۹۱۹) ليدرس في مدرسة هناك. وقد درس الكتب الابتدائية في الفقه وأصول الفقه والمنطق والأدب والبيان وعلوم أخرى على علماء من كابول وبيشاور. ومن كبار أساتذته لتلك الفترة الشيخ عبد القدير الأفغاني اللمقاني قاضي المحكمة الشرعية بجلال آباد والشيخ محمد صالح القيلغوي.[۱۰] وكان الأمير حبيب الله وهب لوالده بستانا للرمان في قبيلة (خوكياني). وبعد قضاء فترة في كابول عاد العلامة إلى بيشاور برفقة خاله الشيخ فضل الصمداني. وكان يتأسف على أن والده لم يحسن تربيته في صباه.[۱۱]

ذوقه الطبيعي وشغفه باللغة العربية

وكان العلامة البنوري مولعا باللغة العربية منذ نعومة أظفاره. وعندما رأى وزير للأمير أمان الله خان ذوقه الرفيع في اللغة العربية زمن إقامته بمدينة كابول، أهدى له بعض الكتب الأدبية لكتاب مصريين حديثين. ولعل مطالعة تلك الكتب مكنته من الكتابة باللغة العربية السلسة بعد عودته من كابول، رغم أنه لم يدرس المقامات بعد.[۱۲]

في دار العلوم بديوبند

وبعد ذلك شد رحاله للتحصيل إلى دار العلوم بديوبند. ومكث هناك بين عامي ۱۳۴۵هـ و۱۳۴۷هـ، حيث درس كتب الحديث. وكان الشيخ العلامة شبير أحمد العثماني (۱۸۸۶ـ۱۹۴۹م) والشيخ العلامة محمد أنور شاه الكشميري (۱۸۷۵ـ ۱۹۳۳م) من كبار مشايخه لتلك الفترة.[۱۳]

في الجامعة الإسلامية بـدابيل

كان الشيخ العلامة شبير أحمد العثماني والعلامة أنور شاه الكشميري مدرسان بدار العلوم ديوبند، إلا أنهما إضافة إلى بعض العلماء الآخرين قرروا مغادرتها بعد نشوء خلاف مع رئيس دار العلوم. وبالتالي انتقلا إلى الجامعة الإسلامية بدابيل منطقة سورت بالهند. فرافقهما عدد كبير من تلاميذهم أيضا وبينهم العلامة البنوري رحمه الله. فتخرج عليهما في تلك الجامعة عام ۱۳۴۸هـ.[۱۴]

شيوخه وتلاميذه

ومن كبار شيوخه في الهند: الشيخ العلامة محمد أنور شاه الكشميري والشيخ عبد الرحمن الأمروهوي والشيخ حسين أحمد المدني والشيخ شبير أحمد العثماني والشيخ المفتي عزيز الرحمن مفتي دار العلوم بديوبند. كما نال إجازة الحديث من بعض كبار العلماء في العالم الإسلامي أيضا خلال رحلاته إلى الحجاز المقدس ومصر ودول عربية أخرى. وبينهم الشيخ محمد زاهد الكوثري نائب رئيس المشيخة الإسلامية في إسطنبول والشيخ عمر بن حمدان المقدسي والشيخ محمد بن حبيب الله الشنقيطي والشيخ خليل الخالدي المقدسي والشيخة أمة الله بنت الشيخ عبد الغني.(۱۵)

وإضافة إلى تلاميذه الذين ارتووا من منهل علمه بالجامعة الإسلامية بدابيل ودار العلوم الإسلامية بمدينة (تندو ألله يار) وجامعة العلوم الإسلامية بكراتشي، طلب من العلامة البنوري إجازة الحديث عدد من كبار العلماء في العالم العربي أيضا. وبينهم رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مكة المكرمة الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع والشيخ المحدث حسن المشاط المالكي مدرس المدرسة الصولتية بمكة المكرمة والشيخ إبراهيم الختني المهاجر المدني والشيخ عبد العزيز عيون السود الحمصي والشيخ عبد الفتاح أبو غدة. كما كان للعلامة علاقات قوية مع المفتي العام السابق للمملكة العربية السعودية الشيخ عبد الله بن باز رحمه الله تعالى.(۱۶)

الحياة العملية والسياسية

وعاد العلامة البنوري إلى موطنه مدينة بيشاور بعد التخرج وبنى ببنت عمه في حالة فقر مدقع، إذ كان والده في كابول لاستعادة ديونه من حكومة نادر شاه. ودائما يكتب له أنه سيتم تسديد الدين وستتغير الأوضاع؛ إلا أن ذلك لم يحدث. وفي ذلك الحين أرسل إليه المجلس العلمي بدابيل، يدعوه للعمل لديه. فلبى تلك الدعوة وأسند إليه تخريج "العرف الشذي" للعلامة أنور شاه الكشميري. وكان ذلك عملا شاقا(۱۸)؛ إلا أن العلامة البنوري قام به على أحسن وجه.(۱۸) ثم سافر إلى مصر لطباعة فيض الباري شرح صحيح البخاري ونصب الراية للزيلعي عام ۱۹۳۷م. وعاد إلى دابيل ليتولى تدريس الحديث الشريف.(۱۹) وأصبح سفر العلامة إلى مصر وسيلة لتعريف أعلام الهند في مصر وسببا لتعرف علماء مصر على دار العلوم ديوبند وكبار العلماء في الهند وتصحيح انطباعهم عن المشايخ في تلك

البقعة النائية من العالم.

وقضى أربعة أعوام من عمره في بيشاور في السياسة تحت راية جمعية العلماء وانتخب رئيسا لها؛ لكن في نفس الوقت كان يقوم بتدريس العلوم الإسلامية بمدرسة رفيع الإسلام بمنطقة (بهانة ماري) بمدينة بيشاور.(۲۰) كما تم تعيينه رئيسا لجمعية علماء الإسلام في ولاية كجرات بالهند وعضوا للجنة الأوقاف بمدينة بومباي. وناب عن مفتي الهند المفتي كفاية الله الدهلوي في مؤتمر فلسطين عام 1938م، جراء مرضه الشديد، رغم تواجده بالقاهرة.(۲۱)

الهجرة إلى باكستان والإقامة بمدينة (تندو ألله يار)

وعندما كان العلامة البنوري شيخ الحديث – مصطلح يستخدم في شبه القارة الهندية لمن يدرس صحيح البخاري- في دابيل، انقسمت الهند إلى دولتين. فهاجر الكثير من المسلمين إلى باكستان وقل عدد طلاب البنجاب والبنغال والإقليم الحدودي في الجامعة الإسلامية بدابيل. وبالتالي حاول بعض العلماء نقل العلامة إلى دار العلوم بديوبند، إلا أن جهود شيخه العلامة شبير أحمد العثماني وعلماء آخرين أثمرت حيث تم إقناعه بالهجرة إلى باكستان. وكان للشيخ احتشام الحق مدرسة بمدينة تندو ألله يار بإقليم السند. والعلماء ينوون تحويلها إلى دار العلوم أخرى في باكستان.

فاستُقبل الشيخ بمطار كراتشي بموكب كبير للسيارات وانتقل إلى تندو الله يار وتم تعيينه شيخا للتفسير. كما أن عددا آخر من كبار العلماء المهاجرين أيضا نزلوا بتلك المدرسة.(۲۲) ومن قضايا القدر أن الأمر لم يدم على ما يرام لفترة طويلة، حيث نشأت خلافات بين العلامة البنوري وإدارة المدرسة أدت إلى قراره على مغادرة تندو الله يار والقيام بعمل ينفعه في الدنيا والآخرة.

إنشاء المدرسة العربية الإسلامية

بعد مغادرة دار العلوم الإسلامية بمدينة (تندو الله يار)، قدم العديد من المدارس الإسلامية دعوات إلى العلامة البنوري تعرض عليه مناصب هامة في التدريس؛ إلا أنه قرر أن يقضي ما بقي من أيام حياته في إنشاء مؤسسة علمية وفق أفكاره ورغباته. وغادر في 4 من شهر ذي الحجة عام 1373هـ إلى البصرة وثم إلى الديار المقدسة للاستخارة والاستشارة حول عمله الجديد فقضى عشرين يوما في مكة المكرمة واثنين وثلاثين يوما في المدينة

المنورة، يبتهل إلى الله ويتضرع إليه ويدعوه ويستخيره. كما كان يطلب من العلماء الآخرين أيضا أدعيتهم في هذا الصدد، حتى استقر رأيه على إنشاء مدرسة إسلامية جديدة ووقف حياته لتطويرها.

وبعد انقضاء سنة في هذا الحال قرر إنشاء تلك المدرسة في كراتشي. فطالب الحكومة عن طريق بعض أصحابه تخصيص قطعة أرض لذلك الغرض. فقررت الحكومة منح قطعة أرض للمدرسة في منطقة (لال جيوا) على طريق نهر (حَب)، فبدأ عملية التدريس هناك، لكن تلك المنطقة كانت بعيدة عن المدينة ولم تكن الأوضاع هناك قابلة للتحمل. وأخيرا حط العلامة الرحال بمنطقة (نيو تاون) – والتي تمت إعادة تسميتها علامة بنوري تاون اعترافا بخدماته الجليلة فيما بعد- ووضع حجر أساس للمدرسة العربية الإسلامية عام ۱۳۷۴هـ (۱۹۵۴م) التي يعرفها العالم الآن باسم جامعة العلوم الإسلامية.[۲۳] وكان بجميع فروع الجامعة ۱۲۰۰۰ طالب في مراحل مختلفة خلال عام ۱۴۳۴هـ(۲۰۱۳م)[۲۴]

الأسفار إلى مصر والدول الأخرى

وبسبب مكانته العلمية، انتشر صيت العلامة البنوري في جميع أصقاع العالم الإسلامي. فكان يتلقى دعوات من مؤسسات مختلفة في الدول الإسلامية وغير الإسلامية للزيارة؛ إلا أن كثرة مشاغله التعليمية لم تكن تقدم له فرصة لكثرة الأسفار. رغم ذلك قام بأسفار إلى مصر والهند والمغرب وسوريا والمملكة العربية السعودية والعراق وإيران وليبيا وإثيوبيا والأردن وفلسطين والكويت وبلاد مختلفة من قارة أفريقيا إضافة إلى إسبانيا ودول أخرى. وكان يزور الحرمين الشريفين كل عام منذ عام ۱۹۶۷م۔[۲۵]

جهاده في سبيل الحق

وله جهود جبارة في مقاومة فتنة إنكار الحديث التي كان يقودها غلام أحمد برويز وثم فتنة الإلحاد التي بدأها الدكتور فضل الرحمن تحت رعاية حكومة المارشال أيوب خان لتجديد الدين. وتبع ذلك نقده لبعض أفكار مؤسس الجماعة الإسلامية العلامة المودودي والرد على أفكار العلامة عناية الله المشرقي وفتنة الناصبية الجديدة التي بدأها محمود أحمد عباسي.[۲۶]

ويمكن الاطلاع على ما كتب العلامة عن هؤلاء جميعا في كتاب (بصائر وعبر).

وهو مجموعة الافتتاحيات التي كان يكتبها العلامة لمجلة (بينات) الناطقة باسم جامعة العلوم الإسلامية.

مؤلفاته ومكانته العلمية في اللغة العربية

وخلف العلامة البنوري مؤلفات قيمة باللغة العربية تدل على مكانته العلمية في علم الحديث والتفسير والفقه، إضافة إلى نبوغه في اللغة العربية وعلومها. وكان يقول إن الكتابة بالعربية أسهل عليه من الكتابة بالفارسية وبالفارسية أسهل من الأردو وبالأردو أسهل من البشتو.(۲۷) كما أنه كان عضوا لمجمع البحوث العلمية بالقاهرة والمجمع العلمي العربي بدمشق.(۲۸)

ولا تسع هذه العجالة لإيراد آراء شيوخ الأزهر والعلماء العرب عن العلامة البنوري وفصاحته في اللغة العربية، إلا أننا نكتفي باقتباس من كلمة لشيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمود قالها خلال خطاب له بجامعة العلوم الإسلامية كراتشي، أثناء إحدى زياراته: "..... وسعيد بأن ألتقي بالأخ الفاضل الكريم الشيخ محمد يوسف البنوري هذا الرجل المجاهد الذي يأتينا إلى مصر فنستقبله باعتباره عالما من كبار العلماء وقمة من القمم الإسلامية الكبرى، نستقبله كمحدث وقد قل المحدثون في هذا العصر، نستقبله كعالم لا يقول عن ظن ولا يتحدث عن تخمين، وإنما يتحدث عن دراية ويتحدث عن علم ويتحدث عن دليل ويتحدث عن مزاولة مستمرة للعلوم الدينية. ولعلكم أعلم أن فضيلة الأستاذ شاعر أيضا. هو محدث وهو مفسر وهو أيضا شاعر. ولم تكن دعوته بالعلم فحسب، وإنما كانت دعوته أيضا بخلقه هذا الكريم الذي يتجلى فيه".(۲۹)

وفيما يلي قائمة بمؤلفاته باللغة العربية:

۱۔ بغية الأريب في مسائل القبلة والمحاريب
۲۔ نفحة العنبر في حياة إمام العصر الشيخ محمد أنور
۳۔ يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن
۴۔ معارف السنن شرح جامع الترمذي
۵۔ عوارف المنن مقدمة معارف السنن
۶۔ الأستاذ المودودي وشيء من أفكاره وحياته
۷۔ فص الختام في مسألة الفاتحة خلف الإمام

۸۔ كتاب الوتر (۳۰)

۹۔ القصائد البنورية

۱۰۔ المقدمات البنورية

۱۱۔ جامعة الديوبند الإسلامية في ضوء المقالات البنورية

وفاته

انتقل هذا العالم الجليل والأديب البارع إلى رحمة الله يوم الاثنين في 3 من شهر ذي القعدة عام ۱۳۹۷ هـ (۱۷ من شهر أكتوبر عام ۱۹۷۷ م) بعد أن أصيب بنوبة قلبية مرتين، في المستشفى العسكري بمدينة راولبندي، بعد أن حضر جلسات لمجلس الفكر الإسلامي. وكان عضوا بارزا فيه. ونقل جثمانه إلى كراتشي وووري الثرى في رحاب جامعة العلوم الإسلامية التي أنشأها ورواها بدمه. (۳۱)

نظرة عابرة على القصائد البنورية

يحتوي كتاب "القصائد البنورية" على ست وأربعين قصيدة بين طويلة وقصيرة. وجمعها من بطون المذكرات الخاصة للشيخ للعلامة البنوري ومن رسائله إلى أصدقائه والمجلات والصحف ختنه الشيخ حبيب الله مختار الشهيد رحمهما الله تعالى رحمة واسعة. وزينها بتعليقات مختصرة لتسهيل فهمها إضافة إلى كتابة تقاديم لبعض القصائد لشرح خلفيتها.

طبعت القصائد البنورية لأول مرة عام ۱۹۸۴ م من كراتشي ونالت صيتا في الأوساط الأدبية، بينما أعيد طبعها مجلدا بالصف بالحاسوب أخيرا – بدون تاريخ- ونشرها مجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي التابع لجامعة العلوم الإسلامية العلامة البنوري تاون كراتشي، في ۲۲۸ صفحة من القطع الكبير.

ورغم أن الناشر بذل جهدا الإخراج الكتاب في حلة قشيبة تناسب الكتاب وصاحبه، لا تزال أخطاء مطبعية في حاجة إلى التصحيح.

وحسبما ورد في "القصائد البنورية"، يؤكد العلامة البنوري رحمه الله تعالى أنه قرض أول قصيدة عام ۱۳۴۷ هـ يرحب بها شيخه المحدث الكبير العلامة أنور شاه الكشميري إلى الجامعة الإسلامية بدابيل، حيث يقول في مقدمة القصيدة: "قصيدة هي باكورة قصائدي أنشأتها بالجامعة الإسلامية بدابيل سنة ۱۳۴۷ هـ عند قدوم الشيخ الإمام

إمام العصر مولانا الشاه محمد أنور –رحمه الله– بالجامعة من ديوبند بعد إفاقته من العضال. وما كنت أنشأت قبلها شعرا، أثبتها تذكار العهد مضى. وليسامح عن عيوبها". (۳۲)

وتتكون تلك القصيدة من 39 بيتاً ويبدأها العلامة بالأبيات التالية:

مالي أرى الناس فيهم ماج سراء وحاطهم بعقيب المحل سحاء

مالي أرى الورق في الأشجار صادحة فهن تشدو وللآذان إصغاء۔

مالي أرى الأرض بالأزهار مزهرة وكل روض بها في الوشي صنعاء (۳۳)

تتوزع القصائد البنورية من حيث المعنى على الأنواع التالية:

۱۔النعت أو المديح

وهي قصائد في مدح سيد العرب العرباء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وقد وضعها الشيخ حبيب الله مختار في بداية الديوان لعلاقاتها مع سيد الأنام عليه الصلاة والسلام. ومن ميزة تلك القصائد أنها تبتدأ بالتشبيب على غرار قصيدة "بانت سعاد" وتصف النبي صلى الله عليه وسلم وتذكر معجزاته وسيرته بأسلوب متين رصين بدون التجاوز إلى المبالغة والخروج عن العقيدة الصحيحة السليمة لأهل السنة والجماعة. وفيما يلي بعض الأبيات منها:

يقول في بداية قصيدته المعروفة بـشذرات الأدب في مديح سيد العجم والعرب:

هام الفؤاد بحب الغيد وا أسفا فمقلتي مزنها بالوجد قد وكفا

فالنفس تصلي بنار الحب من وله والعقل من شرك الأهواء قد خطفا

قد كنت أحسب أن العز مبتعد عن الغرام وما إن خلته شرفا

حتى غدا لي شغلا شاغلا أبدا وصرت بالصد والهجران ملتحفا (۳۴)

إلى أن قال

لا ذكر لا فكر لا وعظ ينبهه وما له مرشد إذ ضل معتسفا

نعم بأشرف خلق الله كلهم بهديه يرتجى للسقم منه شفا

هو الرسول الذي أولى الأنام هدى وشق من نوره مما هوى سدفا

محمد صفوة الباري ورحمته وأحمد خير خلق الله إذ وصفا (۳۵)

۲۔التهانئ

وهي قصائد قرضها العلامة لتقديم التهانئ إلى أصدقائه بمناسبات مختلفة من حلول

عيد الفطر أو عيد الأضحى أو قيامه بسفر مبارك مثل السفر للحج أو مناسبات أخرى سارة. وهي قصائد رقيقة تشي بحب العلامة البنوري لأصدقائه ورفاقه وتبجيله لأهل العلم وتقديره لهم. وقال في قصيدة تهنئة بمناسبة حلول عيد الأضحى أرسلها إلى صديقه الحميم الشيخ عبد الحق نافع رحمه الله تعالى:

تباشير صبح أو صديع مسرة ... يجيء به المسكين عند التحية
سلام هناء واشتياق لزورة ... فلا تطرحوها واقبلوها بنحلة
دعاء ثناء من سويداء قلبه ... ألا لا تردوها بحسن السجية
وهذي عطيات من العبد معدما ... بإخلاص قلب دون تحبير صفحة (۳۶)

وقال مهنئا رفيقه الشيخ أحمد رضا:

عيد الحبيب مع الأحبة عيد ... ما لي بعيد والحبيب بعيد
طال اشتياق للزوار محببا ... طال الترقب بعده ويزيد
مني الهناء لعيد طاب مقدمه ... بيت الرضا فيحله ويسود
أهلا وسهلا والهناء تحية ... للعبد عيد في الديار سعيد (۳۷)

۳۔الوصف

وهذا النوع من القصائد البنورية تصف بعض الكتب التي أعجبت العلامة البنوري، علما أنه كان له ذوق رفيع في جمع الكتب وقراءتها وحفظها. وقد رأيت تعليقه بخط يده على مغني اللبيب بأنه أنفق على تجليده أكثر من سعره. وتتضمن القصائد، قصائد تصف كتاب الروض الأنف وفيض الباري شرح صحيح البخاري وعقود الجمان. وأخرى وصف بها دار العلوم بديوبند وجامعة العلوم الإسلامية ودار العلوم الإسلامية بمدينة تندو ألله يار. وإليكم نموذج من قصيدة وصف بها كتابه معارف السنن:

تغرد طير بالهنا والتبسم ... فنبه قلبا غافلا بالترنم
تباشير بشر أو نسائم رحمة ... تهب على قلب عميد متيم
فقمت سريعا في نشاط وهمة ... وجهد بليغ منتج لم يعقم
فأوضحت من توفيق ربي مسائلا ... رخيم الحواشي مثل وشي منمنم (۳۸)

۴۔الرثاء

الرثاء نوع قديم من الشعر العربي وقد اشتهر عدد من فحول الشعراء بقصائد رثوا بها

ذويهم. ولم يكن العلامة البنوري لئلا يتأثر من مفارقة ذويه وأصدقائه. فجادت قريحته وقرض قصائد في الرثاء يذكرنا بالخنساء في رثائها لشقيقها. وكتب العلامة البنوري في رثاء شيخه المحدث العلامة محمد أنور شاه الكشميري:

ألا قد أسدلت سدل التواري بشمس والنجوم مع النهار
ألا قد أدميت أكباد إنس وجن والملائك بالجهار
ألا قد زلزلت أطواد علم وتقوى ثم زهد والوقار(۳۹)

۵۔المديح

لا يخلو تاريخ الشعر العربي من هذا النوع من القصائد، حيث كان الشعراء يجعلونها سلما للوصول إلى بلاطات الخلفاء والسلاطين والملوك في الماضي. وقد طار صيت الكثير من شعراء العربية في هذا المجال. وأنشأ العلامة البنوري بعض القصائد في مدح بعض العلماء، إلا أنها نادرة قليلة. وكتب رسالة منظومة إلى الشيخ العلامة محمد زاهد الكوثري:

وأخرجت من بحر الجواهر لؤلؤا ثمينا بديعا كان أغلى وأكرما
وجددت آثار الحديث بنهضة قيام غيور للجهاد تقدما(۴۰)

۶۔الهجاء

تتضمن القصائد البنورية قصيدة واحدة في ذم الدنيا. ويقول فيها:

وما هذه الدنياء مناخ لعاقل وما كل من يهوى الثواء مجرب
لحى الله من يزعم بذا الدهر راحة فأنى نعيم في جهنم يرقب
فلا ريب من يبقى معيشة راحة سفيه جهول طائش العقل مذنب
ألا إنما الدنيا غرور وباطل وإن نعيما في الجنان مرقب(۴۱)

۷۔رسائل منظومة

تشكل الرسائل المنظومة قسما آخر من القصائد البنورية. وهي رسائل كتبها العلامة البنوري إلى بعض المشايخ أو أصدقائه نظما، بدلا من النثر. وكتب ردا على رسالة من أحد أصدقائه:

كتابكم الميمون قرة أعين وبرد سعير الوجد حين تضرما
فيشفي فؤادا كان جما وجيبه ويطفي لهيبا حين يذكو ويضرما
يجدد عهدا للمودة والوفا ويوصل حبلا للوصال تصرما(۴۲)

۸۔الترحيب

وهي قصائد قالها العلامة ليرحب ببعض العلماء العرب والعلماء من باكستان. وألقاها لاستقبالهم مثل أي كلمة منثورة. وهي تحتوي على كلمات الترحيب وإثناء على الضيف وتعريف به. وقال مرحبا بالأستاذ السيد عمر بهاء الأميري في جامعة العلوم الإسلامية عام ۱۳۸۵ هـ:

لا غرو حل بناء ضيف فشرفنا في حسن طلعته من وردة الشيم
أكرم بضيف كريم فاضل ندس حبر أديب زعيم القوم محترم
سميدع أريحي ضاحك طلق محنك في بيان الحق بالحكم(۴۳)

۹۔قصائد متنوعة

وهناك قصائد أخرى لا تندرج تحت الأنواع المذكورة آنفا. ومنها قصائد يبتهل العلامة البنوري بها إلى الله عز وجل أو ينظم أسماء رواة الحديث وبعض القصائد في الرقائق والأخلاق. وألقى العلامة البنوري قصيدة في اجتماع لجمعية علماء الإسلام يحرض فيها العلماء على القيام بواجبهم إزاء خدمة الإسلام والذود عن حماه بكل ما يملكون. وبدأتلك القصيدة بالأبيات التالية:

أساجيع حزن أو هدير ملمة يحن بها المجروح من سهم فرقة
ودع وصل سلمى أو فراق سعادهم فنبكي لدين قد تمطى لرحلة
وقطع عرى ليلى وسلمى وسعدى ممسكا بدين رسول الله أوثق عروة(۴۴)

ميزتها

تتميز القصائد البنورية بجزالة الكلمات وسلامتها وسلاستها وأسلوبها الفذ. وهي على منوال قصائد شعراء العربية القدامى في معظم الأحيان. كما أنها تتميز بكثرة الاقتباس واستخدام الكلمات الواردة في الكتاب والسنة. ولعل سبب ذلك يعود إلى علم العلامة

البنوري بالحديث والتفسير، إضافة إلى كثرة اطلاعه على الكتب الأدبية وثروته اللغوية. وبناء عليه فإن قارئ تلك القصائد يزعم أنه يقرأ لأديب مضى قبل قرون ولا يخطر بباله أنه يقرأ لعَلم من أعلام القرن العشرين.

❖❖❖

الهوامش

۱۔ مجلة بينات، عدد خاص عن الشيخ البنوري، ط محرم الحرام- ربيع الأول ۱۳۹۸ھ الموافق يناير-فبراير عام ۱۹۷۸م، ص ۵۳

۲۔ نفس المصدر، ص ۵۲

۳۔ الحسني، عبد الحي، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ط 1، ۱۴۲۰ھ ۱۹۹۹م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 5/۴۶۱

۴۔ مجلة بينات، ص: ۲۹۔۳۰

۵۔ نفس المصدر، ص ۸۳

۶۔ نفس المصدر، ص ۳۰

۷۔ مجلة بينات، ص ۳۰۔۳۱

۸۔ نفس المصدر، ص ۵۳

۹۔ نفس المصدر، ص ۷۷

۱۰۔ مجلة بينات، ص ۵۳

۱۱۔ نفس المصدر، ص ۳۱

۱۲۔ مجلة بينات، ص ۳۱

۱۳۔ نفس المصدر، ص ۵۳

۱۴۔ نفس المصدر، ص ۳۲ (بتصرف)

۱۵۔ القصائد البنورية، ص ۲۱۔۲۲ (بتصرف)

۱۶۔ نفس المصدر، ص ۲۲ (بتصرف)

۱۷۔ نفس المصدر، ص ۲۳ (بتصرف)

۱۸۔ مجلة بينات، ص ۳۶ (بتصرف)

۱۹۔ نفس المصدر، ص ۳۶۔۴۰ (بتصرف)

۲۰۔ القصائد البنورية، ص ۱۰ (بتصرف)

۲۱۔ نفس المصدر، ص ۱۱ (بتصرف)

۲۲۔ مجلة بينات، ص ۴۱۔۴۲ (بتصرف)

۲۳۔ مجلة بينات، ص: ۵۵۔۵۹ (بتصرف)

۲۴۔ جامعة العلوم الإسلامية على الشبكة الدولية: http://banuri.edu.pk/ur/tadaad

۲۵۔ مجلة بينات، ص ۶۶

۲۶۔ مجلة بينات، ص ۲۶۹۔۳۰۶ (باختصار شديد)

۲۷۔ القصائد البنورية، ص ۳۳

۲۸۔ مجلة بينات، ص ۶۴

۲۹۔ مجلة بينات، ص ۵۰۰

۳۰۔ القصائد البنورية، ص ۳۴۔۳۷

۳۱۔ نفس المصدر، ص ۳۸۔۳۹ (بتصرف)

۳۲۔ القصائد البنورية، مجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي، جامعة العلوم الإسلامية العلامة البنوري تاون كراتشي، بدون تاريخ، ص ۸۲

۳۳۔ نفس المصدر، ص ۸۲

۳۴۔ القصائد البنورية، ص ۶۱

۳۵۔ نفس المصدر، ص ۶۵

۳۶۔ نفس المصدر، ص ۹۵

۳۷۔ نفس المصدر، ص ۱۷۳

۳۸۔ القصائد البنورية، ص ۲۰۸

۳۹۔ نفس المصدر، ص ۱۳۱

۴۰۔ نفس المصدر، ص ۱۸۸۔۱۸۹

۴۱۔ القصائد البنورية، ص ۲۱۲

۴۲۔ نفس المصدر، ص ۱۴۸

۴۳۔ نفس المصدر، ص ۲۱۳

۴۴۔ القصائد البنورية، ص ۱۱۹

❖❖❖